

فضل الله على الأمة في العشر الأواخر من رمضان

الله عزَّ وجلَّ له في شهر رمضان من العطاءات الإلهية والهبات الربانية ما لا يحصيه البشر جميعاً، قال رسول الله ﷺ:

{ وَهُوَ شَهْرٌ أَوْلُهُ رَحْمَةٌ، وَأَوْسَطُهُ مَغْفِرَةٌ، وَأَخْرَهُ عِتْقٌ مِنَ النَّارِ }^١

ومن حب النبي ﷺ وحرصه الشديد على هذه الأمة، فكان النبي ﷺ يبحث في أحوال الأمم السابقة ويعلم أن الله عزَّ وجلَّ لا يرد له طلب، فأراد أن يجعل الله كل خير أعطاه الله عزَّ وجلَّ للأمم السابقة لهذه الأمة المحمدية، ومعه ما لا يُحد من فضل الله عزَّ وجلَّ.

أعطاه الله عزَّ وجلَّ بيرة نورانية، كان بهذه البيرة ينظر في آفاق الله عزَّ وجلَّ العلوية ويرى فيها، فكان ينظر في أحوال الأمم السابقة ويتحدث عنها، وكان ينظر إلى ما يحدث في هذه الأمة إلى يوم القيامة، بل يرى يوم القيامة وما فيه، وينظر إلى الجنة وما فيها، وقال ﷺ معبراً عن ذلك بعد أن كان يُلمى بـ حبه الكرام ثم نظر إليهم وقال:

{ أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي إِمَامُكُمْ فَلَا تَسْبِقُونِي بِالرُّكُوعِ، وَلَا السُّجُودِ، وَلَا الْقِيَامِ، وَلَا الْإِنصِرَافِ، فَإِنِّي أَرَاكُمْ أَمَامِي، وَمِنْ خَلْفِي }^٢

وفي رواية أخرى:

{ اسْتَوُوا اسْتَوُوا اسْتَوُوا، فَوَالَّذِي نَفْسِي فِي يَدِهِ إِنِّي لَأَرَاكُمْ مِنْ خَلْفِي كَمَا أَرَاكُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ }^٣

كان يرى ما يفعلون، وإن شئت قلت: كان يرى من وراء كل الأمم السابقة من آدم إلى عـره، ويرى كل من أمامه إلى يوم القيامة، فهو ﷺ حدثنا عن كل شيء

١ صحيح ابن خزيمة عن سلمان الفارسي ر.ه.

٢ صحيح مسلم والنسائي عن أنس ر.ه.

٣ سنن النسائي عن أنس ر.ه.

سيحدث لنا في الدنيا إلى يوم الدين.

ونظر ﷺ به سيرته النورانية في دواوين الأعمال الإلهية، هذه الدواوين موجودة تحت عرش الرحمن، وكل إنسان منا له ملف يسجل فيه المنة الكرام الكاتبين عمله، بال موت وال حورة، وليست ال حورة الظاهرة فقط بل معها النوايا الباطنة، لذلك يقول الله: (يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ) (٤٠: النبأ)، ليس يرى، ولكن ينظر أي: يشاهد كل أعماله في الدنيا.

والنبي ﷺ عند بحثه في ملفات السابقين ذكّر رجلاً من بني إسرائيل ليس الله ح في سبيل الله ألف شهر، قال: فَعَجِبَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ. لَيْلَةُ الْقَدْرِ حَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ) (١: ٣٠ القدر)، لِلَّذِي لَيْسَ اللهُ ح فِيهِ ذَلِكَ الرَّجُلُ.

من يقوم ليلة القدر تُكتب له عبادة مقبولة عند الله عزَّ وجلَّ أفضل وخير من عمل هذا الرجل لمدة ألف شهر. متى تكون ليلة القدر؟ قال ﷺ:

{ تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوَتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ }

المسلمون يجتهدون ويجتهدون في بداية رمضان فيملأون المساجد، ثم تجد المساجد تقل منهم رويداً رويداً حتى إذا جاءت العشر الأواخر تجد المساجد كما كانت قبل رمضان!! مع أن العشر الأواخر هي المهمة، لكن التوفيق من الله، فالذي يُحبُّه الله يوفِّقه للقيام بهذه الليالي، فقد ورد في الأثر:

((إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا وَفَقَّهَ لِأَفْضَلِ الْأَعْمَالِ فِي أَفْضَلِ الْأَوْقَاتِ)).

فيحيي هذه الليالي العشر الأواخر، أو على الأقل الليالي الفردية، والإنسان إذا كان مريض أو عنده عذر ولا يستطيع أن يُحيي هذه الليالي فماذا يفعل؟ قال الرسول الكريم ﷺ:

٤ سنن البيهقي وطرح الثريبي للعراقي

٥ صحيح البخاري ومسنده أحمد عن عائشة رضي الله عنها

{ مَنْ لَى الْعِشَاءِ فِي مَاعَةٍ، كَأَنَّ كَقِيَامِ نِصْفِ لَيْلَةٍ،
وَمَنْ لَى الْعِشَاءِ وَالْفَجْرِ فِي مَاعَةٍ، كَأَنَّ كَقِيَامِ لَيْلَةٍ }

لذا يحرص المؤمن على ألا تفوته صلاة العشاء في جماعة ولا صلاة الصبح في جماعة، إذا واطبت على صلاة العشاء والصبح في جماعة في العشر الأواخر فإني قد أحيت ليلة القدر، ويكتب لي عند الله أني عبدت الله عبادة مقبولة لمدة ثلثة وثمانون عاماً وأربعة أشهر، غير إكرام الله عز وجل له الذي لا يُجد ولا يُعد.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
